

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Université ZIANE ACHOUR De Djelfa

جامعة زيان عاشور- الجلفة

Faculté : Lettres et Langues

كلية الآداب واللغات

et SC. Sociales et Humaines

و العلوم الاجتماعية والإنسانية

Département : Sciences Humaine

قسم العلوم الإنسانية



(السنة الثالثة تاريخ)

Hassen.barboura@gmail.com

محاضرات مقياس

الدولة العثمانية والشرق العربي

(السنة الثالثة تاريخ)



الموسم الجامعي 2011-2012

برنامج مقياس : الدولة العثمانية والشرق العربي

الأناضول قبل ظهور العثمانيين

عوامل نمو الدولة العثمانية

ملامح التنظيم السياسي والعسكري والديني

التوجه العثماني نحو المشرق الإسلامي

النزع العثماني الصفوی

النزع المملوکي العثماني

ضم بلاد الشام ومصر

خضوع الحجاز للعثمانيين

العثمانيون والجزيرة العربية (اليمن)

ضم العراق

نظام الحكم العثماني في المشرق

نظام الحكم في الولايات

محاولات الانفصال عن الدولة العثمانية في بلاد الشام

قائمة المراجع

أنيس محمد ، الدولة العثمانية والشرق العربي 1516 – 1914

يلماز اوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية

محمد بدیع شریف و آخرون ، دراسات تاریخیة فی النهضة العربية الحديثة

بروتوفیق ، العرب والترك في العهد العثماني 1908 – 1914

ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية

جیب ہاملتون و ہارولڈ بابل ، المجتمع الاسلامی والغرب (جزئین)

حسان علی الحلاق ، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية .

رافق عبد الكريم ، العرب والعثمانيون 1516 – 1916

شکری محمد فؤاد ، الحملة الفرنسية على مصر و ظهور محمد علي .

الشناوي عبد العزيز ، الدولة العثمانية ، دولة إسلامية مفترى عليها

الأناضول¹ قبل ظهور العثمانيين

عرفت منطقة الأناضول نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر صراعاً سياسياً ، بعد تصارع دولة السلاجقة² والإمبراطورية البيزنطية³ ، فسلاجقة الروم كانت بداية نهايتهم معركة 1243 ضد المغول ، والدولة البيزنطية بدأت تتأثر منذ الحملة الصليبية الرابعة على المسلمين مما جعلها ترکز على جزيرة البلقان ، وفي ظل هذه الظروف ستظهر قوة سياسية تملأ الفراغ السياسي وهي الدولة العثمانية.

يقول أحد المؤرخين عن أصل هذه الدولة : (ليست كياناً سياسياً مستقلاً ... عن دولة السلاجقة .. إنما هي تركيب من العناصر التركية تمixin عن التطور السياسي والاجتماعي في الأناضول في القرنين 13 و 14 م ، وهذه العناصر هي التي أسست إمارات الأناضول).

والمتفق عليه أن قبيلة بني عثمان وصلت الأناضول نتيجة اكتساح جنكيز خان ملك المغول منطقه ماهان ، موطن القبيلة التي تركها سليمان جد عثمان المؤسس الأول للدولة العثمانية قاصداً بلاد الأناضول (الروم) حيث السلاجقة ، وكان لسليمان ثلاثة أبناء أشهرهم أرطغرل الذي استأذن السلطان السلاجوفي علاء الدين ملك قونية في الدخول إلى بلاده طالباً منه موضعاً يستوطن فيه هو وعشيرته فلبى له السلطان طلبه فنزل أرطغرل ومن معه (400 أسرة) في مكان يدعى قره جه طاغ ، وقد قدم أرطغرل خدمات حربية للسلطان السلاجوفي ، مما جعله يحصل على لقب محافظ الحدود ضد البيزنطيين ، وكانت جيوش أرطغرل في مقدمة جيوش

¹ الأناضول كلمة إغريقية تعني الشرق ، منطقة جغرافية تشكل شبه جزيرة جبلية في غرب آسيا على البحر المتوسط تشمل معظم الأراضي التركية وتعرف أيضاً بآسيا الصغرى.

² الدولة السلاجوقية هي إحدى الدول السُّلُطُونية القوية التي قامت في إيران والعراق وسوريا وأسيا الصغرى . وتنسب هذه الدولة إلى سلاجوق زعيم عشائر الغُزَّ التركمانية ، التي هاجرت واستقرت في بُخاري . استولى أحد أحفاد سلاجوق وهو (طُغْرَلْبَكْ) على إقليم خراسان سنة 429هـ/ 1037م . ولما ضعف البيهقيون في بغداد وكان قد اشتغلوا بظلمهم للخلفاء ، استتجَّ الخليفة العباسي القائم بأمر الله بالسلطان السلاجوفي طغرل بك لإنقاذه من الوباهين ؛ فانتهز السلطان هذه الفرصة ، وسار بجيوشه إلى بغداد ، ودخلها في عام 447هـ/ 1055م ، واعترف الخليفة به سلطاناً على جميع المناطق التي تحت يده ، وأمر بأن يُذكر اسمه في الخطبة .

³ الإمبراطورية البيزنطية : إمبراطورية تاريخية كانت عاصمتها القدسية (بيزنطة) . وكان يطلق عليها الإمبراطورية الرومانية الشرقية . عاشت ما يزيد عن إحدى عشر قرناً ونيف من الزمان وظلت قائمة حتى عام 1453 م . وكانت معبراً القوافل التجارية بين الشرق والغرب .

كانت الإمبراطورية البيزنطية تضم عند تقسيم الإمبراطورية الرومانية قبيل وفاة الإمبراطور ثيودسيوس الأناضول بآسيا واليونان وجزر البحر إيجه وأرمينية وأسيا الصغرى وسوريا ومصر وبرقة ، وعندما أتى الإمبراطور جستينيان العرش بدأ في تنفيذ مشروعه بتوحيد الإمبراطورية الرومانية الكبرى مرة أخرى ، فاستطاع في غضون 30 عام تقريباً ضم شمال أفريقيا ، وجنوب إسبانيا ، إقليم دلماشيا ، وإيطاليا ، بالإضافة إلى استيلائه على جزر البحر المتوسط مثل سردينيا وكورسيكا ، وبذلك أصبح البحر المتوسط بحيرة رومانية مرة أخرى .

علاء الدين ، فلقيت قبيلته بمقبرة السلطان ، وأثناء ذلك ضم مدينة أسكى شهر ، وأمام تدهور السلاجقة خاصةً بعد وفاة علاء الدين مما سمح لعثمان ابن أرطغرل بالإستثمار بالمقاطعات التي كانت تابعة للسلاجقة ، ومتخذًا من إسكي شهر عاصمة له ، وفي عهد عثمان (1288-1326) أخذت الإمارة تتسع مما مكنته السيطرة على الأقاليم المجاورة ، وبدأت مناطق بيزنطية تتسلط في يد الجيش العثماني ، وتطلع بعدها العثمانيون إلى التوسيع في أوروبا

العبور إلى أوروبا :

كانت العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية والبيزنطيين حسنة خاصةً في عهد أورخان⁴ خليفة عثمان ، فقد استنجد الإمبراطور يوحنا السادس بأورغان عام 1355 وعرض عليه تزويجه ابنته تيودورا مقابل صد هجوم صربي على بلاده ، فأجابه إلى طلبه وعبر جيش عثمان إلى الساحل الأوروبي دون قتال بسبب موت ملك الصرب ، وبعد عامين 1357 تمكن ولد العهد سليمان من الاستيلاء على قلعة غالى بولى فكانت أول منطقة أوروبية للعثمانيين . استمرت الفتوحات العثمانية بعد أورغان ، ففي عهد مراد الأول 1360-1389 تم فتح مدينة أنقرة وأدرنة ، ثاني مدينة بيزنطية بعد القسطنطينية ، واتخذها العثمانيون عاصمة لهم لقربها من أوروبا كما فتحوا بلغاريا كلها بين 1385 و 1386 ، وتعتبر معركة كوسوفو سنة 1389 في عهد السلطان بايزيد الأول 1389-1410 من أكبر المعارك ونتج عنها دخول الصرب بحوزة الدولة العثمانية ، ومن المعارك الأخرى : معركة 1396 نيقوبوليis التي جاءت بعد تكوين حلف أوربي مسيحي بقيادة ملك المجر سيمون وباركه البابا بونيفاس ، وشاركت فيه فرسان القديس يوحنا⁵ ، إلا أن السلطان بايزيد الأول 1390-1402 هزم هذا التحالف ، وأسر مشاهير فرسان النبلاء الصرب ورفع من مكانة العثمانيين في العالم الإسلامي إضافة إلى معارك فارنا 1444 و معركة كوسوفو الثانية 1448 م.

⁴ السلطان أورخان غازي : ولد سنة 1281 م ، وشارك في معارك الجهاد في سلطنة أبيه ، وألت إليه السلطنة العثمانية بعد وفاة أبيه ، فنقل العاصمة من مدينة ييني شهر إلى مدينة بورصة ، وبدأ مسيرة توحيد الأناضول ، بضم الأراضي التي كانت خاصةً لأمراء الطوائف التي كانت تسمى: قرمان ، وأيدن ، وصاروخان ، ومتتشا ، وكرمان ، وحميد ، وتكه ، وقره سى ، وأسفنديار ، ومرعش ، وذو القدرية ، وباطنة ، ورمضان ، وأنشأ الجيش الجديد [يني جيري] الإنكشارية ، وأوجد منصب الوزارة ، وعيّن فيه أخاه علاء الدين باشا ، فكان أول وزير في الدولة العثمانية ، وقسم أراضي البلاد المفتوحة إلى قسمين وهما: خاص تصرف إبراداته لخزينة السلطانية ، ولأمراء العائلة الملوκية ولأعيان الحكومة ، وأرض تيمار تذهب إبراداتها إلى رجال الحرب ، وقد ساعد نظامه العادل على قوة السلطنة .

⁵ فرسان يوحنا: فرقة عسكرية صلبيّة أو جماعة دينية صلبيّة مهاربة ساهمت بشكل بارز في الحروب الصليبية، أقامت بجزيرة رودس ، ثم احتلت طرابلس في ليبيا.

- أدرك العثمانيون أهمية مدينة القسطنطينية فهي جسر حيوى رابط بين القسم الآسيوى والقسم الأوروبي ، وطريق للملاحة الدولية ، أشاد بها نابليون بونابرت فقال : ((لو كانت الدنيا مملكة واحدة ، ل كانت القسطنطينية عاصمتها)) .

مهند السلطان محمد الفاتح⁶ (1451 – 1481) لهذا الفتح بعدة إجراءات منها : عقد مجموعة اتفاقيات سياسية مع جيرانه الأوروبيين (البندقية، جنوه، الصرب، فرسان القديس يوحنا في جزيرة رودس) بهدف عزل الإمبراطور قسطنطين عن حلفائه وثانياً ضرب حصار اقتصادي على المدينة لمنع تموينها وقطع الإمدادات عنها ، وثالثاً لرفع وتيرة القدرة القتالية لدى الجيش العثماني وتجهيزه بمعدات حربية متقدمة .

ضرب السلطان حصاراً على المدينة بجيش قوامه 100.000 جندي مشاة ، فرسان ، مسلحين بالبنادق والمدفعية ، يتقدمهم الشيوخ والعلماء ورجال الصوفية ، وفي 6 أبريل 1453 بدأ السلطان في محاصرة المدينة براً وبحراً : 400 سفينة ، وكان هذا الحصار التاسع والعشرون والأخير للمدينة . وفي 29 ماي من نفس السنة أعطيت الأوامر بالهجوم الكاسح والمفاجئ ، أظهر خلاله الإمبراطور البيزنطي مقاومة باسلة ، إلا أنه سقط وأثر على معنويات جيشه الذي بدأ يتقهقر نتيجة لخطة العثمانيين ، ومن نتائج فتح المدينة تحول نظرية الأوروبيين للعثمانيين واعتبارهم خطراً ، كما يعتبر منعطفاً تاريخياً هاماً ، وقد اعتبر المؤرخون ذلك الفتح بدأية للعصور الحديثة ونهاية العصور الوسطى .

بعد دخول المدينة من البوابة الرئيسية قام السلطان محمد الثاني بالصلوة (صلوة الظهر) في كاتدرائية القديسة صوفيا إذاناً بتحويلها إلى مسجد ، وأطلق على المدينة اسطامبول

⁶ **السلطان الغازي محمد الثاني الفاتح** : بالتركية العثمانية : فاتح سلطان محمد خان ثانى ؛ والذي عُرف في أوروبا خلال عصر النهضة باسم "Mahomet II" ، هو سابع سلاطين الدولة العثمانية وسلاطنة آل عثمان ، يُلقب إلى جانب "الفاتح" ، بأبي الفتوح وأبو الخيرات ، وبعد فتح القسطنطينية أضيف لقب "قيصر" إلى ألقابه وألقاب باقي السلاطين الذين تلوه . حكم ما يقرب من ثلثين عاماً عرفت توسيعاً كبيراً للخلافة الإسلامية .

يُعرف هذا السلطان بأنه هو من قضى نهائياً على الإمبراطورية البيزنطية بعد أن استمرت أحد عشر قرئاً ونيف ، ويعتبر الكثير من المؤرخين هذا الحدث خاتمة العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة ، وعند الاتراك فهو فاتحة عصر الملوك

تابع السلطان محمد فتوحاته في آسيا ، فوحَّ ممالك الأنضول ، وتَوَّلَ في أوروبا حتى بلغراد . من أبرز أعماله الإدارية دمجه للإدارات البيزنطية القديمة في جسم الدولة العثمانية المترسبة أذاك . كان محمد الثاني على النقاوة ومحباً للعلم والعلماء ، وقد تكلم عدداً من اللغات إلى جانب اللغة التركية ، وهي : الفرنسية ، اللاتينية ، اليونانية ، الصربية ، الفارسية ، العربية ، والعبرية .

إختار نبى الإسلام عنه : يؤمن المسلمون بأن النبي محمد بن عبد الله تحدث عن أمير من أفضل أمراء العالم ، وأنه هو من سيفتح القسطنطينية ويدخلها ضمن الدولة الإسلامية ، فقد ورد في مسند أحمد بن حنبل في الحديث رقم 18189: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحَسَنِ، قَالَ حَدَّثَنِي الوليدُ بْنُ الْمُغَافِرِي، قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَيْرَ الْخَنْعَبِي، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِتَقْتَلَنَّ الْفَسْطَلَنَطِينِيَّةَ فَلَيَغُمَّ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا وَلَيَغُمَّ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ

(مدينة الإسلام) ، فأصبحت عاصمة الدولة بدلاً من أدرنة ، وعمل السلطان على تعميرها بالمساجد والمستشفيات والمدارس والمصانع ، وانتهج مع سكانها المسيحيين سياسة التسامح .

واصل محمد الفاتح حروبه على بلاد الصرب والبوسنة والهرسك وألبانيا وجنوه والبندقية ونابولي ، وحالفة الحظ في معظم تلك الحروب ، ولكنَّه أخفق في بلغراد وجزيرة رودس ، اللذين يستكمل فتحهما أحد حفته وهو سليمان القانوني ، كما خاض حروباً في آسيا الصغرى فقد قضى على مملكة طرابزون الإغريقية⁷ في شمال الأناضول 1461 ، وبذلك يعتبر محمد الثاني المؤسس الحقيقي للإمبراطورية بالفتحات لذا لقب بسيد الأرضين الرومان والأناضول وسيد البحرين الأسود والمتوسط . لكنَّ هذا السلطان العظيم ارتكب أخطاء ، مثل منحه امتيازات للأرثوذكس ، وفتح أبواب الوظائف لفئة الدفشمة⁸ (ضريبة الدم) ، وتوزيع الأراضي عليها في شكل إقطاعيات (تيمارات) . ثم جاء بعده ابنه بايزيد الثاني 1481 – 1512 فحظي بتأييد العلماء والانكشارية ، وفي عهده نشطت الحياة الاقتصادية والتجارية ونمَّت المدن العثمانية واستولى على الموانئ التجارية للبندقية ، وعقد اتفاقيات صلح مع المجر ، إنجلترا ، إسبانيا ، البرتغال ، بولونيا ورودس لمدة عشرين سنة ، مما مكَّن الدولة من الالتفات نحو الشرق ، حيث بدأ الاحتكاك العثماني- الصوفي والعثماني- المملوكي ، بسبب التنافس على الإمارات الإسلامية بالأناضول .

⁷ الإمبراطورية البيزنطية أو الإمبراطورية الإغريقية في العصور الوسطى يمكن أن تشير إلى:

- الإمبراطورية البيزنطية كانت عاصمتها مدينة القسطنطينية امتد حكمها من العام 330 م إلى العام 1453 م
- كما ويمكن لها أن تشير إلى أي وريث بيزنطي قام بتشكيل إمارة أو مملكة أو إمبراطورية مستقلة وكان ذلك بعد سقوط القسطنطينية عام 1204 م مثل :
- إمبراطورية طرابزون البيزنطية : كانت عاصمتها مدينة طرابزون امتد حكمها من العام 1204 م إلى العام 1461 م
- إمارة إبروس البيزنطية : كانت عاصمتها مدينة آرتا امتد حكمها من العام 1205 م إلى العام 1479 م
- إمبراطورية نيقية البيزنطية : كانت عاصمتها مدينة نيقية امتد حكمها من العام 1204 م إلى العام 1261 م

⁸ الدفشمة أو نظام الدفشمة : تطورت عملية التجنيد خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ، حيث كان يطوف ممثلو السلطة في قرى البلقان مرَّة كل سبع سنوات أو أقل لتجنيد الشباب الصغار تجنيداً إجبارياً ، وكان على كل عائلة أن تقدم عن كل أربعين فرداً فيها واحداً للتجنيد ، فكانوا ينقلون إلى الأناضول وإسطنبول ليتحلّوا بالمدارس السلطانية ، فتشتَّتُهم تنشئة إسلامية ، ويتعلّمون اللغة التركية ، ويتدربون إما على القتال ، وإما على الإدراة والخدمة في الحكومة والقصور السلطانية ، وكان هذا هو السبيل للترقى إلى المراتب العليا في الدولة ، فكثير من الوزراء العظام وكثير من رجال الديوان السلطاني بدأوا حياتهم بهذه الطريقة .

عوامل نمو الدولة العثمانية

- 1- اتخاذ العثمانيين الإسلام مرجعاً لحكمهم من خلال سياسة تسامح مع شعوب أوروبا والتقرب من رجال التصوف والعلم.
- 2- العامل الجغرافي أثر في نمو الإمارة العثمانية، ذلك أنها نشأت في الجزء الشمالي الغربي للأناضول على حدود عالمين مسيحي وإسلامي، وقد فرض عليها ذلك الموقع التوسيع على حساب دار الكفر حفاظاً على كيانها السياسي.
- 3- تأسيس الجيش الانكشاري، العمود الفقري للإمبراطورية العثمانية وسبب جميع الانتصارات العثمانية.
- 4- قوة شخصية السلاطين الأوائل أمثال: محمد الفاتح، بایزید الثاني كالقدرة على التخطيط والتحركات العسكرية والقيادة المباشرة للجيش.

ملامح التنظيم السياسي والعسكري والديني

التنظيمات السياسية:

مصادر الحكم وأشكاله:

استمدت الدولة أصولها وسيادتها من النصوص الإسلامية، على اعتبار أن حكامها باختلاف ألقابهم ممثلين للإرادة الإلهية فوق الأرض، واعتمد في ذلك على ما ورد في كتب الماوردي وابن تيمية. فالسلطان العثماني راعي مصالح الإسلام والمسلمين، حامي الأماكن المقدسة منظم الحج.

اتخذ العثمانيون عدة ألقاب منها الغازى أي أمير الإمارة العثمانية (ق 13 و 14)، ثم سلطان الروم (ق 14 و 15)، وبعد أن توسيع في عهد سليمان القانوني وصف نفسه بسلطان العرب والجم والروم منذ القرن 16م، ثم لقب بادي شاه إسلام أي إمبراطور الإسلام، أما لقب الخليفة فلم يتخذه السلطان العثماني إلا في 1774 بمعاهدة كوجوك بين الدولة العثمانية وروسيا، كي يحافظ السلطان على العلاقة الروحية مع مسلمي شبه جزيرة القلزم، كما أستعمل أيضاً من قبل عبد الحميد الثاني (1876-1908) الذي أراد التصدي للتحديات الأجنبية من خلال تأجيج العاخصة الدينية.

أما عن نظام وراثة الحكم فقد كان الابن الأكبر يخلف أباء عادة في الحكم، وترتب عن هذا صراع الأبناء مما جعل محمد الفاتح يقر نظام قتل الأخوة⁹.

الصدر الأعظم :

هو رئيس الوزراء منذ السلطان أورخان 1326 – 1360 ، ينوب عن السلطان في جميع الأدوار إلا في القصور والمؤسسات الدينية ، يتولى تطبيق القوانين ، قيادة الجيش عند غياب السلطان بمساعدة قضاة ، كان يختار من الأحرار ثم أصبح من المماليك أو العبيد مثل محمود باشا المسيحي 1453 – 1466.

الديوان الهمایوني (مجلس الوزراء) :

يضم رؤساء دوائر الدولة ، يتداول في القضايا الهامة (مثل الحرب والسلم) ، بحضور موظفين كبار وهم : قاضي عسكر روملي ، قاضي عسكر أناضول ، آغا انكشارية ، أميرال البحرية ، الدفتر (الخزينة) دارين (الروم والأناضول) ، وأضيف لهما في القرن 16 التشايجي (صاحب التوقيع) ، أو المحقق في مطابقة القوانين للتشريعات.

الهيئة الدينية :

شيط الإسلام : له دور سياسي ديني يفصل في القضايا الهامة ، تألف في عصر سليمان القانوني حيث كثرت التشريعات والقوانين ، له قضاة ثلاثة في بلاد الروم والأناضول وأفريقيا.

إضافة إلى طبقة العلماء والفقهاء والموظفين والمقتولين وموظفي المساجد ، لهم امتيازات كالإعفاء من دفع الضرائب ، عدم مصادرة ممتلكاتهم ، ورغم ذلك فإن هذه الهيئة الدينية انحرفت إلى تبرير سلوكيات السلطة مما أضعفها.

⁹ قانون قتل الأخوة : مفاد هذا القانون الإجازة للسلطان المتولى للعرش أن يقدم على تصفية الأمراء المنافسين و ذلك بالاتفاق مع هيئة العلماء ، و ينطوي هذا القانون على دلالة سياسية ثابتة ، قوامها تغليب المصلحة السياسية العليا للدولة المتمثلة بحفظ وحدة كيانها السياسي .. و أدى وضع هذا القانون موضع التنفيذ إلى تعرض اللحمة القرابية للأسرة الحاكمة لآلية تفكيك .. لذا عرف هذا القانون تعديلاً في حيثيات تفيذه بعد قرن من الزمان ، فقد جرى استبداله بقانون آخر في القرن 16 قضى بالتخلي عن سياسة التصفية الجسدية و الاكتفاء بسياسة سجن جميع الأمراء – عدا أبناء السلطان الحاكم – في مقاصير و منهم من كل اتصال بالعالم الخارجي . ثم إن هذا القانون نفسه تعرض لتعديل كيفي في القرن 17 م حيث أوجب قانون جديد إلزامية انتقال العرش حين خلوه إلى أكبر الأحياء من الذكور من الأسرة العثمانية . انظر : حسن الضيق ، الدولة العثمانية ، الثقافة المجتمع و السلطة ، ط 1 ، دار المنتخب العربي ، بيروت ، 1997 ، ص 76 ، 77

المؤسسة العسكرية:

لعبت المؤسسة العسكرية دوراً رائداً في تاريخ الدولة العثمانية، فقبل القرن 14 م، لم يكن للدولة العثمانية جيشاً نظامياً، بل اعتمدت في بداياتها التوسعية على الخيالة والإقطاعيين الذين لم يكن بمقدورهم خوض معارك قتالية كبيرة، لذلك فكر السلطان في جيش نظامي جديد عرف بالإنكشارية.

لحة عن الانكشارية: (الجيش الجديد) :

منذ أواخر القرن 14 م طبق العثمانيون نظام الدفسرمة (ضريبة الدم أو الغلمان)، وهي ضريبة تجبي من سكان القرى المسيحية في البلقان، تعتمد على تجميع الأطفال مسيحيين أرثوذكس يفصلون عن ذويهم وأصولهم الاجتماعية والعرقية والدينية ويربون تربية عسكرية إسلامية عثمانية.

كانت الضريبة تجمع كل 5 سنوات ثم مرة في السنة، اقتصرت على الأرياف، كان هؤلاء الصبيان يلتحقون بالمدارس ويتدربون عسكرياً ودينياً وتاريخياً، ثم يتخرجون بلقب قابي كولاري أي عبيد السلطان، ثم يقسمون بعد التخرج إلى ثلاث مجموعات فالأولى تلتحق بالقصر السلطاني والثانية بالمناصب العليا للدولة والثالثة بفرق المشاة ويطلق عليهم ليني شيري.

وقد جنت الدولة العثمانية فوائد جمة من الانكشارية، حيث سدت حاجيات الجيش وقصر السلطان، فقد كان الجنود ينظرون للسلطان أنه والدهم، والثكنة مأواه و الحرب وظيفته والقرآن عقيدته، وأعداء السلطان أعداء الله يجب محاربتهم فيدخل المعركة إما الشهادة أو النصر. خضعت الانكشارية إلى تنظيم دقيق فقسمت إلى فرق عسكرية أقامت في الثكنات (أورطة) وقادهم يعرف بآغا الانكشارية.

تدهور الانكشارية:

مع مرور الزمن تفشت روح التمرد والعصيان في صفوف الانكشارية نتيجةً لعوامل مختلفةً كاختلال نظام الانكشارية ففي سنة 1566 بدأ الجيش الانكشاري يحصل على الامتيازات كالزواج وأصبحوا يكثرون طبقة وراثية مميزة، وبدأوا يفقدون روحهم العسكرية بعد السماح لهم بالإقامة خارج الثكنات، وأصبحت لهم مهام مختلفة، واعتبروا

الجندية مهنة ارتزاق ، فيطالبون برفع الأجر و المنح من السلاطين ، مثل منحة الجلوس الملكي السعيد و تدفع عند تولية سلطان جديد من طرف هذا السلطان .

تدهور نظام الدفشمة :

منذ 1582 سمح مراد الثالث بدخول مجندين غير مدربين للانكشارية ، فاندمج أفراده في الجيش ، مما جعل الدولة تهمل ضريبة الغلمان خاصة مع خضوع المجندين الجدد للنظام ، و هكذا استمرت الدولة في دفع رواتب الانكشارية ، وأي تماطل ينهي حياة السلطان مثل ما حدث لعثمان الثاني سنة 1622 م ، لذلك فكر السلاطين في التخلص من الانكشارية حيث تمكّن السلطان محمود الثاني في 1826 من القضاء عليهم في الواقعة الخيرية .

الأسطول البحري :

اهتم العثمانيون بالبحرية في عهود متأخرة ، حينما واجهوا أسطول البندقية بسبب نشاط سفن القرصنة ، ولم يتطور الأسطول العثماني إلا حينما أشرف عليه خير الدين بربروس ، ورغم ذلك فقد أثبت فشله في معارك: ليانت 1571 ونافارين 1827 .

التوجه العثماني نحو المشرق الإسلامي :

بمجيء السلطان سليم الأول 1512-1520 وجه العثمانيون أنظارهم نحو بلاد المشرق ويعود ذلك إلى عدة عوامل :

1. ازدياد الخطر البرتغالي في الشرق ، ومحاولتهم تطويق الشرق الإسلامي بالاستيلاء على سوقطرة اليمنية والساحل الشرقي لشبه جزيرة العرب .
2. رغبة السلطان سليم الأول في توحيد العالم الإسلامي ككل ، مركزه الدولة العثمانية الإسلامية السنوية المواجهة للشيعة الصفويين وأوربا .
3. الخطر الصوفي الشيعي بقيادة إسماعيل شاه (1502-1524 م) الذي أثار الفتن والتدخلات في آسيا الصغرى .

النزاع العثماني الصوفي :

أسس الشيطرن صفي الدين¹⁰ الدولة الصفوية في إيران في النصف الثاني من القرن 15 م، ولما تولى إسماعيل شاه¹¹ السلطة ووحد إيران وأقام دولة عسكرية شيعية عاصمتها تبريز، وفي 1508 انتزع مدينة بغداد وعامل بقسوة أهل السنة والنصارى فيها، عكس اليهود ورسم المذهب الشيعي في إيران وحاول مد نشاطه المذهبى والعسكرى في بلاد الأناضول، مما أدى إلى الصراع بين الدولتين، لذلك اصطدم الطرفين وهزم الجيش الصفوى في معركة جالدیران¹² في 23 أوت 1514 وسقطت تبريز في يد العثمانيين.

وحققت المعركة النتائج التالية :

1. استيلاء العثمانيين على شمال العراق وديار بكر وأجزاء من أذربيجان.
2. تأمين الحدود الشرقية العثمانية.
3. توازن السنة والشيعة في العراق.
4. احتفاظ الدولة العثمانية بمذهبها السنى في آسيا الصغرى.
5. تأزم العلاقات بين العثمانيين والمماليك كما سيأتي ذكره.

النزع المملوكي العثماني:

بعد أن لمست الدولة العثمانية ضعف المماليك وانهزامهم أمام البرتغاليين في معركة ديو البحرية 1508 م، اقتنعت الدولة العثمانية بجعل البحر المتوسط والطرق البرية بين الشرق والغرب مناطق نفوذ عثماني، ورغم أن العلاقات العثمانية المملوكية كانت جيدة خلال القرن 15 م خاصة، وبعد القضاء على الخطر الصفوي، تنافس المماليك العثمانيون على العالم

¹⁰ صفي الدين الأردبلي : ولد عام 1334 م ، وهو الجد الخامس للشاه إسماعيل ، وكان رجلاً نشيطاً دائم الحركة والسعى؛ استطاع أن يجذب الأتباع حوله في أذربيجان . نجح أبناء الأردبلي وأحفاده في نشر المذهب الشيعي ، والتمكن له بين المحبين والمربيين ، وصارت لهم قوة وقدرة على المشاركة في الأحداث السياسية في المناطق التي يقيمون بها، وتحولوا من أصحاب دعوة وشيخ طريقة إلى مؤسسي دولة لها أهدافها السياسية والمذهبية . وكانت الأجراء التي تعيشها إيران في أواخر القرن التاسع الهجري من التزقق السياسي وشيوخ الفوضى أفضل مناخ استغله الصوفيون لجذب المزيد من الأنصار ، والتطلع إلى قيام دولة تدين بالمذهب الشيعي.

¹¹ إسماعيل الصفوي (1487 م - 1524 م) مؤسس الدولة الصفوية في إيران، وهو شاه إيران (1501 - 1524) و القائد الديني الذي أسس الحكم للصفويين بعد خوضه عدة معارك ضد حكام بعض المناطق في إيران والتغلب عليهم ، وتساقطت في يده كثير من المدن الإيرانية ، وتوج جهوده بالاستيلاء على مدينة " تبريز " عاصمة آق قويونلو ، ودخلها دون الفاتحين ، ثم أعلنها عاصمة لدولته . وبدخوله مدينة تبريز تم تتويجه ملكاً على إيران ، ولقبه أباً المظفر شاه إسماعيل الهايى الوالى ، وذلك في سنة 1502 م وأصدروا العملة باسمه....

¹² جالدیران : صحراء جالدیران تقع شمال العاصمة تبريز في شرق الأناضول .

الإسلامي ، وفي جوان 1515م قضى العثمانيون على إمارة ذي القادر التركمانية الموالية للمماليك ، والواقعة في أعلى الفرات لأن أميرها علاء الدين عرقل الجيش العثماني نحو الصوفيين .

فتح بلاد الشام ومصر

أصبح العثمانيون يطوقون الممتلكات المملوكيّة شمال الشام ، وأحس قنصوه الغوري المملوكي¹³ بالخطر العثماني فسار بقواته إلى حلب و التقى الطرفان في معركة مرج دابق شمال حلب ، سنة 1516م وهزم الغوري وجيشه .

تقدّم السلطان سليم إلى دمشق ، وقبلها إلى حلب ثم إلى القاهرة ، وفي طريقه إلى الرملة بفلسطين قاتل أهلها ، ثم توجه إلى القدس و وسلم مفاتيحة ، وأرسل رسالة إلى طومان باي المملوكي خليفة الغوري بمصر يعرض الصلح فرفض هذا الأخير و دعم قواته بغزة التي هزمها سليم ، وفي 22 جانفي 1517 التقى الطرفان في الزيدانية ، وانهزم المماليك ، وفتحت أبواب القاهرة لسليم بعد أن فر منها طومان باي الذي أُعدم بعد القبض عليه .

مكث سليم بمصر واستقبل الدول الأوربية ، ونظم البلاد ثم عاد للأستانة مصطحبًا معه الخليفة العباسي المتوكّل على الله ، واختلف الرواة حول تنازل المتوكّل على الله عن الخلافة

خضوع العجاز للعثمانيين :

كانت العجاز تتبع مصر و تعيش على الأوقاف المحبوسة لفقراء مكّة والمدينة ، ولذا عندما سقط المماليك في يد العثمانيين ، انتقلت مسؤولية الدفاع عن الأراضي المقدسة إلى العثمانيين و فعلاً أُعلن شريف مكّة برّكات ولاءه للعثمانيين .

العثمانيون والجزيرة العربية (اليمن) :

¹³ الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري: الجركسي الجنس هو آخر سلاطين المماليك البرجية . ولد سنة 1446 م . ثم امتناكه الأشرف قايتباي وأعتقه وعيشه في عدة وظائف في خدمته . وفي دولة الأشرف جنبلات عين وزيرًا . ثم نودي به ملكاً على مصر سنة 1501 م ، وظل في ملك مصر إلى أن قُتل في معركة مرج دابق شمال حلب سنة 1516م .

تردد ولاء اليمنيين للسلطان العثماني بين 1538 حتى 1568 ، ثم توسع العثمانيون في الخليج العربي ، وسيطروا على عمان والبحرين والكويت ، وانتزعوا من البرتغاليين هرمز ومسقط .

ضم العراق :

تولى سليمان الأول القانوني 1520 – 1566 مواصلة الحصار البري والبحري حول الدولة الصفوية ، ولذلك قاد حملة ضد الصفوين ، وانتزع منهم بغداد ومناطق إيرانية أخرى عام 1534 ، إلا أن الصفوين استعادوا العراق واسترجعه العثمانيون نهائياً عام 1538 .

نظام الحكم العثماني في المشرق :

النظام الإداري : هيئة الحكم المركزي : كان نظام الحكم في عاصمة الدولة يتكون من :

- **السلطان :** له سلطة مطلقة ، بيده جميع السلطات ، خليفة المسلمين ، القائد الأعلى للجيش ، تضرب السكمة باسمه ، ويدعى له بالمسجد .
- **الصدر الأعظم :** يشبه رئيس الوزراء في وظيفته ، يعينه السلطان ، يشرف على شؤون البلاد ، يقيم في مركز الوزارة المسمى بباب العالي ، يساعده عدة وزراء .
- **الديوان السلطاني :** يتكون من وزراء وكبار الضباط و الموظفين و العلماء و الأعيان ، مهمته بحث شؤون الدولة ، رأيه استشاري .

نظام الحكم في الولايات : (أ) التقسيمات الإدارية :

قسم العثمانيون البلاد العربية إلى ولايات تضم عدداً من الألوية أو الصناجق ، وكل منها يشمل عدداً من المتصرفيات (جزء من اللواء) ، فكانت :

- بلاد الشام ثلاثة ولايات (دمشق ، حلب ، طرابلس)

- العراق : أربع ولايات (البصرة ، بغداد ، الموصل ، شهرizeror)

- الحجاز : بقية تحت حكم الأشرف

- مصر : ولاية واحدة

وكانت سلطة الوالي مطلقة في ولاياته ، وفي كل ولاية ديوان من كبار الضباط و الموظفين والأعيان ، وقد استعان العثمانيون بالماليك في حكم مصر فنافسوا الولاية .

ب) الإدارة المالية :

نظم العثمانيون الإدارة المالية بضبط إدارة الولايات ومصروفاتها ، وتشكلت الإدارة المالية من عدة دواوين :

← **الديوان الدفتري** : ويرأسه الدفتردار ، ومهملته تحصيل الضرائب وتسهيل إرسال الأموال للسلطان وكان يطرح الالتزام.

← **ديوان الرزفانة** : مهمته جمع الأموال الأميرية وصرفها في وجوهها المختلفة تحت إشراف الديوان الدفتري ، وقد نص القانون الذي أصدره سليمان القانوني على حصر الأراضي وتقدير ضرائبها ، ففي سنة 1526 أعطت الدولة العثمانية حق جمع ضرائب الأراضي ، ضرائب الفلاحين (نظام الالتزام) عن طريق مزاد علني ، إضافة إلى الضرائب الخاصة بالأرض ، هناك ضرائب غير عقارية مثل الجمارك ، الفوائد المفروضة على الصناعة ، الإتاوات المفروضة على التجار ، والجزية لأهل الذمة .

ج) التشريع والقضاء

كان السلطان العثماني يعين قاضي عسكري أفندي قاضي للقضاء ، وهو بدوره يختار من ينوبه (قضاء) في الولايات ، وضمت الهيئة الإسلامية في الدولة العثمانية مناصب قضاة ، مفتين ومدرسين ، مصدرهم الشريعة الإسلامية . يقوم القاضي بجمع رؤوس عقود الزواج ، الحج ، وتشرف الهيئة الإسلامية على المساجد والعلماء ، يعفون من الضرائب ، ولا يتقاضون أجوراً بل يأخذون نسبة من قيمة المعاملات القضائية (تكاليف المحكمة) .

د) القوات العسكرية :

تنوعت القوات العسكرية في الولايات العربية و منها الانكشارية التي عهد إليها حماية الولاية ، ويرأس الحامية الإنكشارية في كل ولاية آغا الإنكشارية ، وتشكلت هاته الحامية من عدة وحدات بلغ عدد رجالها في 76 مدينة عربية عام 1685 م 13.793 رجل ، ولكن فساد الانكشارية في العهود المتأخرة جعل الدولة تعتمد على أفراد محليين .

إضافة إلى الإقطاعيات العسكرية التي عهدت إلى الفرسان المزمين بتأدية الخدمة العسكرية و المساهمة في الحملات مع الفرسان المساهمين ، وحدد عدد الفرسان المساهمين بسعة كل إقطاعية ، إذ كان يجند فارس واحد لقاء ثلاثة آلاف أقجة من الدخل ، وكانت الإقطاعيات التي

يزيد دخلها عن 20.000 أقجة تسمى زعامة (زعamas)، ويملكها زعيم، أما التي لا يتجاوز دخلها 20.000 فتسمى تيمار يملكها تيماري.

محاولات الانفصال عن الدولة العثمانية في بلاد الشام

وضعت الدولة العثمانية نظاماً إدارياً بهدف عدم انفراد أي هيئة في الولايات العربية بالنفوذ، فجعلت إلى جانب الوالي قادة الانكشارية، وأعيان البلاد، فكان كل فريق يراقب الآخر.

لكن مع اهتمام الولاية بجمع الثروات وإرسال الضرائب للأستانة وضعف الدولة العثمانية عسكرياً هيأ الظروف لقيام فتن وحركات انفصالية خاصة خلال القرنين 17 و 18 في بلاد الشام وأهمها :

1 - حركة فخر الدين المعنี الثاني : 1590 - 1635

نسبة للأمراء المعنيين الذين قدموا من حلب إلى لبنان واستقروا في منطقة الشوف، وتولى قائدتهم الأول فخر الدين المعنี الأول حكم الشام وخاصة لبنان، وفي 1590 استلم فخر الدين الثاني إمارة الشوف وأراد أن ينتقم من وفاة فخر الدين الأول الذي اغتاله العثمانيون، فقوى إمارته اقتصادياً وعسكرياً ودبلوماسياً، مما ولد لدى الدولة العثمانية الخوف من جهته، فعمل على استغلال انشغال الدولة بحروبها مع الصفوين (الشيعة) فاستولى على أقاليم مجاورة وشجع الإرساليات الأوروبية وبنى الكنائس مما أدى للقضاء عليه من طرف العثمانيين

2 - علي بك الكبير و حلم الدولة المملوكيّة : 1767 - 1773

استغل علي بك الكبير المملوكي انهماك الدولة في حربها مع روسيا وما ترتب عنه من انهيار لسلطة الباشا والانكشارية، حيث ازداد نفوذ المماليك بالقاهرة، فبرزت طموحات علي بك الكبير بالقاهرة لمؤسس دولة مملوكيّة مستقلة، فأنشأ جيشاً من المرتزقة، وامتنع عن دفع الجزية للباب العالي والدعوة له في المساجد بلقب سلطان البرين، وأرسل حملة إلى الحجاز وتحالف مع الثائر ظاهر العمري في لبنان، وطلب المساعدة العسكرية من روسيا، ففشل، وتمكن الدولة العثمانية من القضاء على حركته باستماله قائد العسكري محمد أبي الله.

3 - حركة ظاهر العمر الزيداني : 1772 - 1775

كان ظاهر العمر من قبيلة عربية تدعى بنو زيدان بين الشام وحلب ، عين ملتزما على طبرية (قائدا مكلفا بجمع الضرائب) التي حكمها منذ 1773 وأخذ يوسع حكمه في المنطقة ، وقد أثارت سياسته الدولة العثمانية حينما ارتبط بعلي بك الكبير ، وازدادت مكانته حين اعترفت له الدولة العثمانية بحكم صيادا منذ 1772 ، واستغل ظاهر العمر فرصة تواجد الأسطول الروسي في البحر المتوسط فتحالف معه لطرد حاكم بيروت أحمد باشا الجزار ، لكن هذا الأمر فشل إذ قاوم الجيش العثماني هذا الطموح سنة 1775 ، بينما اغتيل ظاهر العمر سنة 1775.

4 - أحمد باشا الجزار : 1775 - 1804

أحد مماليك علي بك ، تولى حكم بيروت بعد مقتل سيده ، أنشأ جيشا قويا من المماليك حكم بلاد الشام باستثناء حلب ، عرف بالجذار لبطشه ومصادرته للأموال ، خشيت الدولة العثمانية من سلطته ففكرت في عزله ، إلا أن الحملة الفرنسية على سوريا سنة 1779 رفعت من سمعته لصموده أمام الفرنسيين ، فاستمر في الحكم حتى وفاته .

5 - الحركة الوهابية (حركة محمد بن عبد الوهاب) نسبة إلى مؤسسها : 1703 - 1792

كان لدعوة الحركة الوهابية رد فعل سياسي من قبل السلطان العثماني الذي شعر بجدية الخطر الوهابي المشكك في شرعية الحكم العثماني ، لقد اجتاحت جيوش الوهابيين بلاد الحجاز والعراق الإستراتيجيتين ، واستغل السلطان سخط المسلمين على تصرفات الوهابيين (سلفيين .. إزالة القباب ، هدم الأضرحة ، .. الخ) لذلك استغلت الأستانة هذه الظروف وجندت العلماء والفقهاء لمواجهة الوهابيين ، واستنجدت بمحمد علي باشا مصر الذي لبى طلب السلطان محمود الثاني ، فاندلعت الحرب المصرية الوهابية 1811 - 1818 ، وتخربت مدينة الدرعية عاصمة الوهابيين وأعدم الإمام عبد الله بن سعود في الأستانة.